الباب السادس والعشرون

ذكر الباشا سليمان والباشا محمود لنك

ولنرجع إلى إتمام ذكر الباشا عمار ، فمكث فى الولاية سنة وشهرين وأياماً وغلب عليه فيها القائد المصطفى الفيل حتى صار كأنه صاحب الأمر ، وهو فى طغيان وتمرد وعناد لا يبالى بأحد ، فبلغ السلطان خبر ما بينهما فغضب عليهما وأشد الغضب على عمار من حيث الضعف حتى ركب عليه المصطفى وعليه من حيث الطغيان والتعند ، حتى رجع عمار مركوباً[1] له فعزله من عنده.

وبعث إليهما سليمان ليكون صاحب الأمر وأمره أنْ يسجنهما ويزيد للمصطفى إهانة وتصغيرًا ، ويبعثهما لحضرته فى مراكش وهو فى الحديد ، فوصل تنبكت يوم الخميس الخامس من ذى القعدة الحرام سنة ثمان بعد ألف ، فظهر له فى المصطفى المذكور ما ذكر عنه عند وصوله حتى عزم على قبضه وهو فى الركوب ، فنهاه عن ذلك أصحاب الرأى لما عسى أنْ يكون حينئذ من الفساد .

فلما نزل الباشا سليمان ودخل فى المشور ، وقعد على المرتبة ، قبض على العَتبة وهو داخل وخرَّقوا [2] عليه أثوابه الفاخرة ، وجعلوا عليه الحديد والقيود الثقال حدّا ، وبعثه للسلطان على تلك الحال ، وسَجَنَ عمار سَجْن إكرام إتماماً لقول السلطان ، ثم رجع لمراكش بأمره .

(سياسة الباشا سليمان)

وجاء سليمان المذكور فى خمسائة رام ـ وقيل أكثر ـ فبنى داراً خارج البلد وسكن فيها مثل المحلة ، ورفض سكنى القصبة ، فكان ذا همة عالية ورأى فائق وتدبير عجيب وحكم شديد ، وسار بذلك فى الجيش كله بحيث لا يبيت أحدٌ منهم إلا فى تلك المحلة ، ومن غربت عليه الشمس فى داخل البلد لا بدَّ أن يأخذ فيه ما قدّر الله له من ضرب العصى ، ولا يبيت الليلَ كله إلا منتبهاً يحرس المحلة والبلد كلها ، ولا يحدث فيه صيحة ولا صراخ إلا فى سمعه وعلمه ، وما طرأ من سرقة فى أى جهة إلا اتبعها حتى تنكشف له ، ويحكم فيها ما يليق .

---

(١) مركوباً : أى عاد من سفره .

(٢) خرَّقوا : أى مزقوا أثوابه .

وقد أمعن النظر فى أمر الأمين القائد الحسين بن الزبير ، فبدا له أنه مفسد مسرق (سارق) لبيت مال السلطان ، لأنه اتخذ نحو ثلاثمائة جَوارٍ مع ضعفهنّ ، فانتزع منه مال السلطان وجازها عنه فى بيت فى دار السلطان فى القصبة .

ثم شاور الشوطات [1] فيما يفعل فى أمره ، فقالوا لنا الكلام فى ذلك والسلطان قريب منكم فاكتبوا له فكتب كل واحد منهما له . فكتب للباشا سليمان وأمره أن يفارق سبيله وليفعل ما بدا له فى ذلك المال ، لأن المال مالنا وهو أميننا . وما كان بينك وبينه فيها إلا متى احتجبت إلى نحو ثلاثة مثقال يبلغه لك حتى ترده له . ولكن القائد عزوز هو الذى عاونه وحامى عنه عند السلطان فمكث فى الولاية أربع سنين وشهرين ، وهو آخر باشاوات السلطان مولاى أحمد الذين صرفهم للسودان .

قال العلامة الفقيه أحمد بابا رحمه الله تعالى أخبره الأمير السلطان مولاى زيدان ابن الأمير مولاى أحمد أن نهاية الرجال الذين صرفهم والده فى المحلات من لدن الباشا جودار إلى الباشا سليمان ثلاثة وعشرون ألف نفس من خيار جيشه وهى مقيدة فى الزمام قد أراه ذلك الزمام .

قال : أضاعهم الوالد باطلاً ، ولم يرجع منهم أحدٌ لمراكش فيموت فيها إلا نحو خمسمائة رجل ، كلهم ماتوا فى أرض السودان . انتهى . ثم إن الأمير مولاى أحمد توفى ، وسمع به الباشا سليمان فأخفاه عن الناس عامًا حتى جاء خبر ولاية مولاى بوفارس بن مولاى أحمد ، فتولى بعد وفاة أبيه فى أوائل العام الثانى عشر بعد الألف . فبعث الباشا محمود لنك إلى أرض السودان ووصل تنبكت فى شهر الصفر فى العام الثالث عشر بعد الألف ، فجاء فى ثلاثمائة رام . وقيل : أكثر جلهم أهل ماسنة وجاء معهم محمد المامى كاهية وهو مسجون فى فاس لانشغاله بالحرابة [2]

فطلبه عند القائد عزوز فأعطاه وجعله كاهية . وصادف نزوله فى تنبكت بجنازة إسكيا سليمان ، وقيل : أمر بكشف وجهه حتى رآه . وأمره السلطان بمجيء الباشا سليمان إليه ، والقائد أحمد بن يوسف وهو على مدينة جنى يومئذ ، فكتب للباشا

---

(١) الشوطات : جمع مفرده شوط ، وهى رتبة عسكرية .

(٢) الحرابة : هى قطع الطريق ، أو العمل على ترهيب الآخرين . وعقوبتها فى الشريعة الإسلامية قطع الأيدى والأرجل من خلاف ، أو الصلب ، أو القتل ، أو النفى من الأرض ، هذا إنْ لم يعلن توبته القائم بالحرابة .

سليمان وطلب منه أنْ ينتظره قليلاً حتى يجيء ويترافقا فى الذهاب فانتظره ، ثم طال الانتظار فذهب قبل أنْ يجيء فجاء ولحقه .

وبعث القائد على بن عبد الله التلمسانى كتابه معه للسلطان مولاى بوفارس وأخبره فيه بأحواله وبما هو فيه من الاشتغال بالغزوات ، وحراسة الثغور وعدم الكفاية التى يستعين بها على مشقاته ، ومن أجل ذلك لم يبعث له هديته صحبة القائد أحمد المذكور .

ولما رجع بعث له السلطانُ كتابًا معه فأعطاه بلد تندرم لينتفع بما يخرج منه من الخراج ، فلما وصل تنبكت بعث له ذلك الكتاب فى بلد ونزع لأنه لم يلازم الحراسة هنالك ، ووجد الحال أن القائد على التركى هو العامل على تندرم فصرف له [١] القائد على التلمسانى أنه آت إلى ذلك البلد ، وإذا أدركه فيه لا بُدَّ بقطع رأسه فخاف وهرب إلى تنبكت ، فغضب عليه الأمين القائد الحسن ، ولامه وأكثر فى الملامة فصرف المقدم حد بن يوسف فيه عاملاً ، فعزم القائد على التلمسانى على القدوم إليه، فخاف حد وخرج إلى موركير ، فجاء وتولاه ومكث فيه ، فرجع حد إلى تنبكت.

ثم وقع الاختلاف بين الأمين وبين على بن عبيد وهو عامل على كيس ، فهرب إلى تندرم عند القائد على المذكور لرسم التوطن عنده ، فبعث له أهل تنبكت فى رده فامتنع من ذلك فمشى الأمين القائد الحسن بنفسه ولم يرده ، فطوَّل له فى الكلام إلى أنْ قال له : إن هذه العطايا من السلطان لا ينفونها لأنه أمينه ووكيله المفوض ، فله الردم والإمضاء وما كانت أيضاً إلا فى براءة الرسالة .

فقال له القائد على فى جوابه : إذا لم ننفذ العطاء ببراءة الرسالة لا تنقذ تلمينك[٢]، لأن براءة الرسالة هى التى جاءت من عند السلطان الحاصل لم يجد سلكاً [٣] منه فرجع إلى تنبكت وأحلف هود الباشا محمود الجيش كله على أنْ لا يهرب منهم أحدٌ إليه بعد هذا فحلفوا عليه ، ثم ذهب إليه سيد على التواتى فصبَّره ووعظه ، حتى قال له : لا تخسر أمر هذا الجيش لأنه صائر إليك غداً إن شاء الله ، فحينئذ ترضى ورد على بن عبيد المذكور .

---

(١) صرف له : أى صرَّح له بالأمر .

(٢) لا تنقذ تليمنك : أى لا تصبح بريئاً .

(٣) سلكاً منه : موافقة .

ثم شرع الأمين القائد الحسن فى تبديل نظام الجيش ، وبدل العلامات ورد سرية الفاسيين أصحاب اليمين ، وسرية المراكشيين أصحاب الشمال ، ونزل العلوج والأندلسيون تحتهما وزعم أن ذلك كان من عند السلطان مولاى بوفارس ، فجعل معلم سليمان العرفاوى كاهية [١] على الفاسيين ، وحد بن يوسف الأجناسى كاهية على المراكشيين .

ثم توفى الأمين القائد الحسن فى أواسط العام الخامس عشر بعد الألف ، فتولى مقامه الطالب محمد البلبالى بأمر صاحب الأمر الباشا محمود لنك ، فاشترى من تركته ما اشترى من الخدام وغيره . ومكث فى ذلك المقام سبعة أيام ، وفى ثامنه ورد ابنه القائد عامر بن الحسن بعثه السلطان مولاى بوفارس أميناً فتولى المقام المذكور .

وانتزع من الطالب محمد المذكور جميع ما اشترى من تلك التركة ، وفى السادس عشر بعد الألف تُوفى السلطان مولاى زيدان بن السلطان مولاى أحمد فردّ الباشا سليمان إلى السودان ليكون صاحبَ الأمر وبعدما سافط [٢] من مراكش وانفصل عنها قتله سعيد بن عبيد ، فأعطى السلطان السبيل فى قبيلته الشراقة ، فقتلوا منهم كثيرًا وقتل معهم القاتل سعيد بن عبيد المذكور .

ثم إن الكاهية معلم سليمان طغى وتمرد وجعل لا يشتغل إلا بالمعاكسة على الباشا محمود والتطاول عليه وعزم على ترحيل القائد على بن عبد الله من تندرم وإحضاره لديه حتى يتقابلا لعل ينكسر حدته وتمرده ، فنهاه القائد مامى بن برون ، وقال له : مثل معلم سليمان مثل الكلب إنْ هر عليك [٣] ورميت له عظمًا ينساك ، وينشغل به عنك ، وهو إنْ جاء لا يريد إلا موضعك هذا .

ولما رأى أن حاله لا يزداد إلا فرطًا وشططاً صرف له فى المجيء ، فجاء وترك عياله وراءه ، فاشتكى له بأمره وأمر بقتله ، فقتله ليلة الخميس التاسع من محرم الحرام ، فاتح عام السابعة عشر بعد الألف . ولم يباشر القتل بل أصحابه الذين قتلوه، ووجدوه قاعدًا فى باب داره مع القائد إبراهيم أشخان ، فضربوه بالسيف حتى مات ، وجُرح أشخان المذكور فمات من ذلك الجرح ، فكان فزع كبير فى البلد تلك الليلة .

---

(١) كاهية : قائد .

(٢) سافط : غادر .

(٣) هر عليك : أى عوى واشتد نباحه .

وغلق الناسُ أبوابهم ، ثم إنهم برحوا بالعافية ليلتئذ وسكن الناس ، فأمره الباشا محمود بالسكنى فى تنبكت ورحل له عياله ، وفوَّض له الأمر فبقى أربعة أعوام ونصفاً لا يكون شيء إلا بأمره ، وآخر الحال عزله القائد على بن عبد الله وتولى مقامه، فكان الأمر كما قال القسيس [١] مامى المذكور .

وفى هذا العام جاء هيكى [٢] سيد كرى أجى بالغزو من عند إسكيا هارون ونكيتا بن الأمير إسكيا داود صاحب دند أراد غزو طاعة أهل المخزن فى البحر ، فلما سمعوا خبره خرج القائد على بن عبد الله التلمسانى بالمحلة [٣] لقتاله فى شهر ربيع الثانى .

وفى المحلة إسكيا هارون بن إسكيا الحاج بن الأمير إسكيا داود المذكور ، والباشا محمود هو الذى ولاه ذلك المقام عند وفاة إسكيا سليمان لما انعزل ، فتوجَّه إليه القائد على فلم يقرب البحر ، فانتهى جبل دى ورجع إلى بلدهم .

وحين سمع فندنك بوب ، وول كين صاحب سنقر بتوجهه إلى تلك الجهة وهو على طريقهم خاف وهرب إلى فندنك بوب يامى صاحب ماسنة ، لأنه خالف حينئذ فتبعه بالمحلة حتى وصل بلد عنكب فنزل فيه ، وبعث لصاحب ماسنة أن يسلم فيه ، ويرده إليهم فقال إنه دخل فى حرمته ، وأنه يصلح بينه وبينهم ليعفوا عنه ويرده فى حلته على ألفين بقرة حالة ، فقيل القائد على فأعطى صاحب ماسنة تلك العدة من البقر من نفسه ساعة .

فجاء بوب وول إليه فى المحلة واتبعه القائد أحمد البرج إلى حلته ليعطى ألفين بقرة حق الشاشية [٤] . وهو كأنه دخل فى السلطنة الجديدة فأعطاه إياها ، وأعطاه أيضاً ألفين الذى وقع عليه الصلح ثانياً ، فكان ستة آلاف بقرة دفعوها من فور [٥] واحد عن عجلة .

وفى هذا الطريق خالف [٦] أهل سغى على إسكيا هارون بن الحاج فى عنكب فصبّرهم القائد عامر على وصبروا ، ولكن لما وصلوا تنبكت قاموا عليه حتى عزل ،

---

(١) القسيس : مقصود به الإنسان الحكيم كما مرَّ .

(٢) هيكى : قائد الأسطول .

(٣) المحلة : الحملة .

(٤) حق الشاشية : نوع من الضرائب التى تدفع للباشاوات المغاربة .

(٥) من فور : عاجلاً .

(٦) خالف : أى قاموا بثورة .

ورحله الأمين القائد عامر فى جواره فأبر به وأكرمه غاية المبرة والإكرام إلى أنْ تُوفى ، ومكث فى الولاية أربع سنين وبعدها ثمانى سنين .

وفى القابل فى العام الثامن عشر بعد الألف جاء دند فارى بارى بالمحلة الكبرى من عند إسكيا فى دند قاصداً أرض مدينة جنى فقطع البحر الكبير ونزل فى ترفى ، وذلك فى شهر الصفر فى العام المذكور .

وقيل إن جنكى محمد بنب هو الذى بعث لإسكيا فى دند أن يرسل ذلك الجيش ويعاونهم لكى يخرجوا الأرض من مملكة أهل المخزن [1] ، فاشترك مع سرى موسى فى ذلك الأمر سرًا . وكلشع محمد على ما قبل وطلب من فندنك برهم صاحب ماسنة أنْ يوافقهم فيه فامتنع .

وقال إنه راع وكل منْ تولى سلطة الأرض فهو خديمه وراعيه ، وكتم ذلك عن خادمه الأكبر نجده وتدبيراً سرى المعزول أنس مان ، ثم بعث دند فار لجنكى ، وأعلمه أنه نزل فى ذلك المنزل ينتظره فردّ له المرسول وأمره أنْ يرتحل إلى قصر مدينة جنى ، فحينئذ يخرج للقائه والاجتماع به .

فلما اطلع أنس مان على ذلك بعث مرسوله لدند فارى سرًا فنهاه أشد النهى عن الوصول إليه ، وقال له : إن الجنوبيين ليسوا بأهل وفاء ونُصح . لا أمنهم على جيش إسكيا فقبل نصحه وارتحل ساعتئذ فقطع البحر ورجع إلى جهة كرم ، وقد وجد الحال أن القائد أحمد بن يوسف خرج من تنبكت راجعاً إلى مدينة جنى وهو قائد عليها يومئذ .

وعادته فى قيادته يسكن فيها بعض شهور السنة ، ويسكن فى تنبكت فى بعضها ، فلما صحّ خبر هذه المحلة بعث به كركى لأهل بلد كب وعظم لهم أمرها . وقد وصله القائد أحمد المذكور ومعه جماعة من الرماة فابتنى محلة هنالك وبعث إلى تنبكت عند الباشا محمود لنك ، وأكد عليه فى صرف المحلة بمبادرة وسرعة ، فأمر القائد على بن عبد الله أنْ يخرج منها ، فخرج بجميع الجيش إلا من عادتهم أنْ لا يخرجوا إلا مع صاحب الأمر إذا تحرك مثل قائد المخازنية وغيره .

فخرجوا فى جهة كرم ، ثم سمع أن دند فارى [2] فى جيش عظيم . فصرف للباشا

---

(١) يقصد تحرير سنغاى من الحكم المغربى .

(٢) دند فارى : معناه حاكم إقليم دند . والكلمة مكونة من مقطعين ، وهما دند بمعنى إقليم دند . وفارى بمعنى حاكم .

فى تحديد الرجال ، فخرج القائد ومنْ بقى فى البلد من الرماة ، وفيهم إسكيا هارون وهو معزول يومئذ فوصلوا بلد عنكب ونزلوا فيها ، ثم وصل دند فارى بلد كب أينما ابتنى القائد أحمد بن يوسف محلته فهرب منه بالمحلة ودخلوا فى قصة كب فحاموا قباءه ، وما بقى وراءهم من أمتعته ، وقيضوا بعض القوارب الخارجين (الخارجة) من مدينة جنى ، وأكلوا فيها أموالاً كثيرة من الذهب وغيره ، فحاصروا تلك المحلة وهم داخل القصبة .

فبلغ الخبرُ القائد على بن عبد الله وهو فى محلته فى عنكب ، فنهض بما اختار منها من الرماة لإغاثة المحصورين (المحاصرين) وبقى القائد حد ، وإسكيا بكر ، وإسكيا هارون ، والقائد أحمد بن سعيد وأشياعهم فى تلك المحلة .

ولما سمع دند فارى بمجيء القائد على نهض لمحلته بالليل قاصدًا أرض درم من وراء جبل كر حتى قاربوا بلد جنج فنزل بالمحلة وبعث لأهل جنج فى أمر الضيافة فأرسلوها لهم ، ثم نهضتْ المحلة التى بعنكب لقتالهم فاقتتلوا عند الجبل المذكور ، فكان قتالاً شديدًا .

ومات فى المعركة بين الطائفتين كثيرٌ من خيار أهل المخزن منهم عبد العزيز الكاتب من أصحاب المخازنية ، ومن أهل النجدة المعروفين قدمًا . وقبض أهل سغى أعنى أصحاب دند فارى بلمع إسحاق بن بنك فرم محمد هيك ، وذهبوا به إلى عند إسكيا دند وما افترقوا فى القتال إلا عند دنو الشمس للغروب ، وما روعهم فى المنزل الذى نزلوا فيها إلا صوت الدرقة التى ركضها الحصان برجله .

فهرب أهل المحلة بأسرها كبارها وصغارها إلى بحر دب إلى أفخاذهم فى الماء ، ثم تحققوا بعد ذلك السبب ، فخرجوا من البحر وبلغوا الغاية والنهاية من الرعب والخوف ، وما أغاثهم إلا أصوات غياضة [1] القائد على بن عبد الله فوق البحر يقطعها إلى نحوهم .

فقال من حضر فى ذلك الغزو : ما سمعنا فى آذاننا قط أحلى من تلك الأصوات فكان لهم فرجٌ شديدٌ بعد الشدة ، ولما وصل بلد كب فقصَّ عليه القائد أحمد بن يوسف ما جرى بينهم ، وأنه ارتحل إلى أرض درم كر راجعاً عند أصحابه هنالك ، وأدرك أنهم قد فرغوا من القتال .

---

(١) غياضة : بمعنى صوت المراكب .

ودند فارى لما سمع بوصوله عندهم ولى مدبرًا إلى أرضه والقتال وقع فى أوائل الربيع النبوى فى العام المذكور ، ورجع القائد حد وأصحابه إلى تنبكت وجعلوا على أجسامهم الشوكة لأهلها ولبسوا لهم جلد النمر ، وشتتوا جماعتهم فى المجالس ، وبقى البلدُ زمانًا طويلاً لا يتحدث فيه اثنان فى مجلس .

وقبل وصول المحلة للبلد أمر صاحب الأمر بالدور فيه عند صلاة العشاء ، ومرة قبلها بالتشديد والتوكيد حتى لا يمدح المداحون ليالى الشهر الكبير إلا بعد صلاة المغرب ، والعادة المعروفة المعهودة لا يكون إلا بعد صلاة العشاء [1] .

وأما القائد على بن عبد الله فقد مضى إلى مدينة جنى بأصحابه ، ومعه إسكيا بكر، وقد سبقه القائد أحمد بن يوسف المشى إليه لأن أرض جنى كلها قامت وخالفت ، وجميع القرى التى كانت على ساحل البحر هرب أهلها كلهم إلى الحجر ، وأول قواربه الذى وصل بلد سات ، دفع إليه الخيل من بلاد ساتنك فنهبوا ما فيه ومضوا ، فجاز القائد على ولم يبال بهم . ووجد أهل بلد كونا قد خالفوا وقاتلوا الرماة الذين فى القصبة فنصرهم الله عليهم وهربوا إلى الحجر ، فجاز على حاله .

فحين وصل قواربه مرسى بلد كبغ ورسوا وليس عنده نية القتال جاءهم أصحاب سرى موسى فبدؤهم بالقتال ساعتئذ فتحزموا للقتال ، وذلك فى يوم السبت الحادى عشر من الربيع النبوى فى العام المذكور فاستمر القتال بينهم واشتد إلى اصفرار الشمس ، فقال ذوو الرأى للقائد على : إذا بات عنك الليلة وما أصبته لا تصبه بعد فنزل على رجله ودخل فى سور البلد حتى وقف فى باب داره . وباركى متاعه فوق السطح مع الرجال ويرسل له السلام ساعة بعد ساعة ، ويسأل عن سلامته ويقول : ما دام هو حياً لا ينال العرب منه نيلاً . فإذا المرء جاءه قال إن باركى أصيب بالرصاص الساعة فمات . قال : لأن ثَمَّ مرادهم فيه .

وعن قليل كسروا باب داره فدخلوا عليه ، وقبضوه وقتلوا وأكلوا البلد كله إلا حومة كفار بوب وذهب به فى الحديد ، وقد أحضر جنكى محمد بنب الرجال فى داره، وحفر فيها البئر وعوّل على القتال والحصران ، فلما وصل القائد على مدينة

---

(١) كانت عادة أهالى سنغاى الاحتفال بالمولد النبوى الشريف فى جامع سنكرى بعد العشاء ، ويتم فى الاحتفال قراءة كتاب الشفاء للقاضى عياض .

جنى نزل لمحلته فى سبرو بعث بسرى فى داخل المدينة فقُتل شر قتلة ، فبعث لجنكى فى المجيء فجاءه فى ذلك المنزل ولم يجاور له الملامة فهداه الله للأصوب من الرأى ، ولا يشك أحدٌ من الرماة الذين فى إدالة جنى أنْ يقتله .

فلما رأوه راجعاً إلى داره سالماً سَبُّوا القائد على ولعنوه غضباً وغيظاً ، ثم رجعت إلى تنبكت ، ثم بعث أهل جنى لأهل البلادات كلها التى على سواحل البحر بالأمان أنْ يرجعوا إلى مكانهم ، فمنهم منْ بادر بالرجوع ، ومنهم منْ تأخر ثم رجع ، وفى القابل فى التاسع عشر بعد الألف عند أول فيض ماء البحر رجع إلى مدينة جنى مع إسكيا بكر لمصالح السلطنة ، ولما وصلها لم يشك أحدٌ من الرماة الذين كانوا فى إدالته أنْ ينتقم من جنكى ، ولا يشك هو فى ذلك .

فنزل خارج المدينة عند الجنان [1] وصرفوا [2] لكلشاع محمد محضر ، ثم رأى أن قيض جنكى ليس بمعلمة ، ويكون فسادًا فى الأرض الذى لا ينجبر فقطع عليه النصاف العظيم ، وقبض فى ذلك مالاً عظيماً جداً فى قبائله وأووه بعجلة وسرعة ، وهم فارحون لسلامته وهو عزيز عندهم ، حبيب فى قلوبهم .

وقد حاسد إسكيا بكر كلشاع محمد حينئذ بما رأى أن قدره فاق على قدره بينهما تفاوت كبير ، ثم رجعوا إلى تنبكت وقد طار عقل الباشا محمود من قبضه لما يترتب فيه من المفسدة العظيمة ، فحين حضر بين يديه عند الوصول سأله : هل قبضه أم لا؟ فقال : لا بل رجع نصافاً . فدعا له فقال : لا أراهم الله تعالى ساعة ليس هو فيها ، فأعطاه جميع النصاف .

وأما إسكيا بكر فوشى بكلشاع عند الباشا محمود ، وأكثر فى النميمة عليه وقال : إنه رأسُ الفتنة وهو الذى بعث عند إسكيا فى مجيء دند فارى ، فكتب للقائد أحمد بن يوسف وأمره بقتله فدافع عنه جهده ، حتى قال إنه يعطى عنه خمسمائة مثقال أنْ لا يموت ، فأبى إلا الموت فقتل ظلماً وعدواناً .

وحين عزم القائد على بن عبد الله على الرجوع من جنى عزل القائد أحمد بن يوسف من القيادة ، فولاها للطالب محمد البلبالى لما جاء إلى تنبكت فأصلح من شأنه وسار إليه حاكمًا ، وبقى القائد على بن عبد الله فى ذلك التمكن والاعتلاء إلى العام

---

(١) الجنان : الحدائق .

(٢) صرفوا : المقصود به أرسلوا .

الحادى والعشرين بعد الألف ، وهو فى أسغى للحراسة فى وقتها المعروفة إذا جاء خبر سيدى كرى أجى وهو دند فارى يومئذ أنه يقصد بغزو كبير من عند إسكيا الأمين صاحب دند ، فتوجّه إليه بجيش عظيم ، وفيهم الشيخ أحمد نريك الزبيرى فى شهر ربيع الثانى ، والله أعلم .

فوصلهم فى شرك مكان فى أقصى أرض بنك من جهة القبلة ، فوقفت كل طائفة من الجيشين فى مقابلة صاحبها ، ثم افترفوا بلا قتال فولى هذا مُدبرًا ، وهذا مُدبرًا ، وذكر عن إسكيا بكر أنه قال : ما رأيتُ طائفتين قد ذهبتْ دولة كل واحد منهما إلا إياهما .وقيل : إن القائد على بعث لدند فارى سيد ذهبا على يد الإسكيا بكر لكى يرجع من غير قتال ، وهو ابن أخت إسكيا بكر المذكور ، فرجع وسمع بذلك الإسكيا الأمين ، ولما بلغ لديه كاشفه فى ناديته وغايظ عليه جداً ، وعيَّره بأخذ الرشوة فى ترك القتال ، فلما دخل فى داره شرب ماء الحلس فمات ، فوجد الذهب فى أمتعته ولم يعرفه به أحد قبل فقويتْ التهمة .

فرجع القائد على بالمحلة إلى تنبكت ، فعزل الباشا محمود لنك وتولى ضحوة الأربعاء الخامس عشر من شعبان المنير فى العام المذكور فى شهر يليه [١] والله أعلم ، فركب ساعتئذ وطاف البلد .

فلما نزل دخل عليه الباشا محمود فسلّم عليه وحيّاه ودعا له وقال له : الكلام ها أنت أبنيت بابا كما دخلت فيه نخرج منه إشارة للغزلان ، فكيف الأمر كذلك فعن قليل مات ، ومكث فى السلطة ثمانية أعوام وسبعة أشهر ، وكان آخر الباشات من مراكش . وقيل : إنه مات مطعوماً [٢] .

---

(١) لأول مرة يرد ذكر شهر ميلادى وهو شهر يوليو ، الشهر السابع . وهى ملاحظة جديرة بالتسجيل تتطلب بحثاً عن استعمال السنة الميلادية فى غرب إفريقيا .

(٢) مطعومًا : أى مسموماً .